مجلة كليّة

# الدعوة الإسلامية

العدد الرابع عشر
1997

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1427 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1997 أفرنجي

# مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بأستنبول

د. عزة حسن
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط

هذا المركز مؤسسة علمية زاهرة من الطراز الرفيع، تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي. وهو يحتل جناحاً خاصاً من أجنحة قصر يلديز الكبير الشهير في إستانبول، مدينة الإسلام العظمى. وقد أنشىء للبحث في الشؤون الإسلامية والتعريف بها، ولا سيما تاريخ الإسلام والفنون التي أبدعها المسلمون والثقافة الإسلامية عامة، وهذا دليل على أهمية هذا المركز والغاية العلمية الجليلة المقصودة من وراء إنشائه. ويتضح هذا من اسمه للوهلة الأولى.

ويضاف إلى تحقيق هذه الغاية العلمية اهتمام المركز بالتراث الإسلامي في كل ميادين العلم والمعرفة التي اشتغل بها المسلمون في العصور الماضية، وأعطوا فيها ثمرات طيبة أغنت الحضارة الإنسانية أيما إغناء. ونذكر مثالاً على ذلك اهتمام المركز بمخطوطات التراث الإسلامي التي تتضمن شتى العلوم

والمعارف. فقد أصدر في هذا الميدان فهرساً لمخطوطات خزانة كوبريلي بمدينة إستانبول في ثلاثة مجلدات كبار. وهذه الخزانة الشهيرة أنشأها الصدر الأعظم محمد باشا كوبريلي، وهو من أشهر الصدور العظام في الدولة العثمانية، وإنشاء خزائن الكتب لخدمة العلماء وطلبة العلم إلى جانب إنشاء المدارس، سنة حميدة جرى عليها رجال الدولة العثمانية، من السلاطين والصدور العظام والوزراء والقادة وشيوخ الإسلام وغيرهم، مثل خزانة السلطان أحمد الثالث في قصر طوب قابو سراي، وخزانة الصدر الأعظم راغب باشا، وخزانة شيخ الإسلام عاطف أفندي، وغيرها من الخزائن الصغيرة والكبيرة.

ولا تزال صروح هذه الخزائن قائمة في أرجاء مدينة إستانبول القديمة. وهي زاخرة بالآلاف من مخطوطات التراث الإسلامي العظيم، في اللغات العربية والتركية والفارسية، وهي اللغات العريقة الكبرى الثلاث التي كتب فيها تاريخ الإسلام، وصيغت فيها الثقافة الإسلامية عامة.

وقد أصدر المركز أيضاً في ميدان فهرسة مخطوطات التراث الإسلامي فهرساً عاماً قيماً جداً، في مجلد كبير، لمخطوطات الكتب الطبية المحفوظة في خزائن مدينة إستانبول. وهي من تأليف علماء الإسلام في العصور الماضية بلغات عديدة.

ونذكر كذلك من أعمال هذا المركز اهتمامه بالبحث في تاريخ الإسلام وتاريخ الأمم الإسلامية عامة. ويعد هذا البحث من صميم أعماله. ولذلك فقد رسم مشروعاً كبيراً يتمثل في خطة عامة حول تاريخ الأمم الإسلامية. وأصدر في هذا الميدان باكورة أعماله، وهي كتاب (العلاقات العربية التركية). وقد نُشِر هذا الكتاب بالتعاون بين المركز وبين معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألسكو) في القاهرة. ويهدف هذا الكتاب إلى بيان تاريخ العلاقات العربية التركية خلال العصور بياناً موضوعياً، بقصد الإسهام في توثيق العلاقات وتوطيد الصلات وتعزيز التضامن بين الشعوب العربية والتركية. وذلك بتوضيح العديد من الحقائق والأحداث التي أثرت في مجرى هذه العلاقات بين الفريقين.

وقد صدر هذا الكتاب في جزءين اثنين. يتضمن كل جزء منهما وجهة نظر أحد الفريقين حول الموضوعات الرئيسية التي تتصل بتاريخ العلاقات العربية التركية، منذ نشأتها إلى أيامنا الحاضرة. فكتب أبحاث الجزء الأول كتّاب باحثون من العرب، وكتب أبحاث الجزء الثاني كتّاب باحثون من الترك. والكتاب بكامله سفر قيّم مفيد جداً، يجعل القارىء يخرج بفكرة موضوعية شاملة ونافذة عن المظاهر الرئيسية للعلاقات العربية التركية وعن مراحلها المختلفة، وهو يخاطب خاصة دارسي التاريخ من العرب والترك والمهتمين بالعلاقات الخارجية بين الدول وبالتعاون الدولي.

ويمكن لنا أن ندرج ضمن مشروع تاريخ الإسلام والأمم الإسلامية كتاب (التاريخ العثماني ـ الدولة والحضارة) وقد أعد هذا الكتاب نخبة من الأساتذة الباحثين المتخصصين في تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها ومؤسساتها المختلفة، منذ نشأتها إمارة صغيرة من إمارات الثغور حتى أوج ازدهارها واتساعها، ثم انحطاطها. وينشر هذا الكتاب في مجلدين اثنين. يحتوي الأول منهما مجموعة دراسات في التاريخ السياسي للدولة العثمانية، وفي التنظيم الإداري والعسكري والنظام القضائي، وفي الحياة الاقتصادية والمالية للدولة، وفي البنية الاجتماعية فيها. ويحتوي المجلد الثاني أبحاثاً في الحياة الدينية والفكرية، وفي الأدب واللغة والتربية والعلوم، وفي الفنون والعمارة والموسيقى في أيام الدولة العثمانية.

وقد دأب مركز الأبحاث منذ إنشائه على تنظيم ندوات علمية حول الشؤون الإسلامية المختلفة نذكر منها مثلاً الندوة الدولية حول العلوم الحديثة والعالم الإسلامي، ولا سيما مسألة انتقال العلوم والتكنولوجيا من الغرب إلى العالم الإسلامي، منذ عهد النهضة إلى أوائل القرن العشرين. وقد عُقدت هذه الندوة بمدينة إستانبول في أيام 2ـ 4 من شهر أيلول (سبتمبر) سنة 1987.

ومن المعروف أن التفاعل بين الحضارات المختلفة في ميادين الثقافة والعلوم عامل كبير في تطور المعرفة البشرية وازدهارها على مر العصور. ويعتبر موضوع تناقل المعرفة بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة الغربية أحد

الموضوعات التي أسفر البحث العلمي فيها عن دراسات مثمرة، ولا سيما دراسة التطورات العلمية التي حققها المسلمون، وإسهام تلك العلوم في النهضة الغربية الحديثة. ثم بداية تيار جديد بعد ذلك بعدة قرون أخذت فيه العلوم الغربية الحديثة بالانتقال إلى العالم الإسلامي في العصر الحاضر، وتسهم في نهضته ونموه. ولم يُوَفَّ هذا الجانب من الموضوع حقَّه من الدراسة العلمية برغم أن هذا التيار ما زال مستمراً إلى اليوم. وهو أحد العناصر الأساسية للتنمية في العالم الإسلامي. ولهذا أفرد مركز الأبحاث هذه الندوة العلمية الدولية لموضوع انتقال العلوم الحديثة من الغرب إلى العالم الإسلامي، بغية إثراء الدراسات العلمية فيه.

وقد قدّم عدد من العلماء المتخصصين بحوثاً عديدة خلال أيام الندوة أثارت اهتماماً كبيراً في الأوساط العلمية. جُمعت هذه البحوث في كتاب أصدره المركز باللغة الإنجليزية باسم: (Transfer of Modern Science and Technology to the Muslim World). وصدّره الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي المدير العام للمركز بمقدمة إضافية، بيّن فيها واقع الدراسات الحالية حول الموضوع، وتناول بالدرس وضع العلوم في فترة ازدهار الدولة العثمانية التي كانت تضم معظم أرجاء العالم الإسلامي. كما أورد في مقدمته تحليلاً دقيقاً لبداية صلة العالم الإسلامي بالعلوم والتكنولوجيا الحديثة الغربية. ويعتبر هذا الكتاب بمقدمته والبحوث التي يحتويها أول مجموعة من الدراسات العلمية حول هذا الموضوع ذي الأهمية البالغة. ويعد من أكبر إنجازات مركز الأبحاث في مدينة إستانبول.

ومن الندوات التي نظمها المركز نذكر الندوة الدولية حول الحِرَف والصناعات التقليدية في العالم الإسلامي، التي عقدت في مدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية، بالتعاون بين المركز وبين جمعية رباط الفتح والبنك الإسلامي للتنمية، في أيام 23ـ 25 أيلول (سبتمبر) سنة 1991.

شارك في هذه الندوة عدد من المندوبين المتخصصين والخبراء والأساتذة من بلدان عديدة في العالم، وقدّموا خلال أيامها أبحاثاً علمية وأعمالاً ميدانية

قيمة، تميّزت كلها بتنوع الخبرات من جهات عديدة في العالم الإسلامي. ومن مؤسسات أخرى في أوروبا وأمريكا. وقد جُمِعت هذه الأبحاث والأعمال التي قدّمت في أيام الندوة في كتاب فاخر فخم أصدره المركز بعنوان (آفاق تنمية الصناعات التقليدية في الدولة الإسلامية). ويعتبر هذا الكتاب أول مراجعة للوضع الحالي للحِرَف اليدوية في العالم الإسلامي باعتبارها من الفنون الإسلامية.

جاء الكتاب في (472) صفحة، منها (235) صفحة باللغة العربية، و(164) صفحة باللغة الإنجليزية، و(73) صفحة باللغة الفرنسية. ويضم الكتاب إلى جانب الأبحاث والأعمال العلمية (134) صورة ملونة لقطع حِرَفية جميلة، من فنون الزخرفة الهندسية والنباتية للجدران والسقوف، والحَفْر على الخشب والتخريم، ولوحات الصدف والزجاج المعَشّق، وإبداعات الخزف والفخار، والتزيين في الجلد والنسيج. وكل هذه الحِرَف أصناف جميلة مختلفة من الفنون الإسلامية التي أبدع فيها الحِرَفيون والفنانون المسلمون نماذج فنية رائعة في شتى أنحاء العالم الإسلامي. وتركوها إرثاً ثرياً للإنسانية جمعاء، ناطقاً ببراعتهم ومهارتهم، وشاهداً على إسهامهم الكبير في إغناء التراث الفني الإنساني.

ومن نشاطات المركز دعوة العلماء والأساتذة إلى إلقاء المحاضرات العلمية في المواسم الثقافية التي تقام في مقره القريب من قصر يِلديز. ونذكر في هذا المجال مثلاً أن المركز أفرد النصف الأول من محاضرات الموسم الثقافي (أكتوبر ـ ديسمبر 1992) لموضوع الأندلس بمناسبة مرور (500) خمسمائة عام على سقوط مدينة غرناطة ونهاية الحكم الإسلامي في الأندلس. وقد ألقيت في هذه الفترة عدة محاضرات في هذا الموضوع.

وكانت المحاضرة الأولى للأستاذ الدكتور تحسين عمر طه أوغلي من جامعة بوغاز إيجي في مدينة إستانبول في موضوع (عمارة القصور الأندلسية وقصر الحمراء). وقد ألقى المحاضر الضوء على العديد من المعالم المعمارية التي بناها المسلمون أثناء حكمهم في الأندلس الذي دام ثمانية قرون. وذكر أن معظم تلك المعالم قد آل إلى الخراب بمرور الزمن. وقال إن قصر الحمراء

الفخم في غرناطة قد اعتبره الإسبان من الكنوز الإسبانية ابتداء من سنة 1870. وشهد هذا القصر أكبر عملية ترميم في عام 1915. وشرح المحاضر الخصائص المعمارية للقصر، كما قدم مختارات من نصوص الشعر والنثر التي تشيد بجمال هذا المعلم الأثري وسحره، وفتنة الحدائق الأندلسية الجميلة المحيطة به، ومنها حديقة جنة العريف.

وألقت الأستاذة الدكتورة إنجي أنكين أون، من جامعة مَرْمَرَة في مدينة إستانبول محاضرة بعنوان (الأندلس في الأدب التركي)، بيّنت فيها أن فترة التنظيمات الإدارية التي جرت وتمّت في أواسط القرن التاسع عشر في الدولة العثمانية قد تميّزت في تاريخ الأدب التركي بازدياد الأعمال الأدبية حول تاريخ الإسلام عامة. وذكرت أن الأدباء والكتاب من الترك وَجهوا أنظارهم في هذه الفترة إلى الأندلس خاصة، لأن حضارة المسلمين الأندلسيين أثارت اهتمامهم، ومنحتهم فرصة للبحث في الأعمال الحضارية الباهرة في الحضارة الإسلامية الأندلسية، ولإلقاء الضوء على إنجازاتها العظيمة. فظهرت في هذه الفترة عدة آثار أدبية أصلية في اللغة التركية، وآثار أدبية أخرى ترجمت إليها عن اللغات الأجنبية. وهي تدور كلها حول قضايا في تاريخ الأندلس إبان حكم المسلمين. كما ظهرت مسرحيات وقِصَص ومقالات وأشعار في الموضوع نفسه، كتبها ونظمها أدباء وشعراء من الترك.

وألقى الأستاذ الدكتور صالح طوغ عميد كلية الإلهيات حينذاك في جامعة مَرْمَرَة بمدينة إستانبول محاضرة بعنوان (تأثير الثقافة والحضارة الإسلامية في حركة النهضة من خلال إسبانيا). وكانت هذه المحاضرة عبارة عن نظرة شاملة في إسهامات علماء المسلمين في مجال العلوم والتكنولوجيا لفترة تربو على ستة قرون. وقد أشار المحاضر إلى حركة الترجمة التي نُقلت فيها كتب العلوم في الطب والفلك والرياضيات والكيمياء، وغيرها من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية أثناء حكم المسلمين في إسبانيا، وبيّن أثر هذه الحركة العلمية في النهضة الأوروبية الحديثة.

ومن أهداف المركز الكبرى اهتمامه الظاهر بالتراث الحضاري الإسلامي،

وعلمه الدائم في الحفاظ على آثار هذا التراث العريق، مثل الكتابة، ونعني فن الخط بأنواعه وأشكاله الكثيرة المتنوعة على مدى العصور. ويجدر بنا في هذا المجال أن نذكر، مع التقدير والإعجاب، سعي المركز لإحياء هذا الفن واستمراره وتشجيع الخطاطين في العالم الإسلامي للإبداع فيه. ولهذا سن العاملون في المركز سنة حميدة في هذا السبيل، وذلك بإجراء سلسلة من المسابقات في فن الخط بأنواعه المختلفة، بشكل دوري، مرة كل ثلاث سنوات، يشارك فيها الخطاطون من كل العالم الإسلامي. ومن المعلوم أن فن الخط يُعَدّ من أجمل آثار التراث الإسلامي، ومن أروع صور الفن الإنساني على المستوى العالمي إطلاقاً، منذ القديم إلى اليوم.

إن الخط أو الكتابة وسيلة بارعة ابتدعها الإنسان واستخدمها للتعبير عن أفكاره ومشاعره، ولنقلها إلى غيره من الناس، واستعملها كذلك لتسجيل نتائج الفكر الإنساني في الآداب والعلوم، وحفظها وإيصالها إلى الأجيال القادمة. وهذه هي الغاية الأصلية لابتداع الإنسان لرموز الأصوات، وهي الحروف، والكتابة بها. ويُعَد ذلك من أكبر ابتكارات الإنسان في الحضارة الإنسانية عامة، ومن أنجحها في بناء هذه الحضارة وتطويرها خلال العصور الماضية في تاريخ الإنسان على أرضه. وسوف يبقى الخط كذلك مؤثراً فاعلاً وكبيراً في تقدم هذه الحضارة إلى الأبد.

على أن الخط في الحضارة الإسلامية، وفي تاريخ الفن الإسلامي، قد تجاوز هذه الغاية الأصلية في التعبير عن الفكر والشعور، أي الإبانة اللغوية، مع وفائه بها أحسن وفاء، إلى الوفاء بغاية أخرى جمالية ذات قيمة قصوى. فلقد صار الخط في الإسلام، على مرّ العصور، لوناً من أرقى ألوان الفنون الجملية، ومن أبهجها للأعين والأنفس معاً، فيما نرى، ولا مغالاة في هذا الرأي. وتتجلى في هذا الفن عناصر جمالية فذة من الزينة والزخرف، هي مظاهر الذوق المرهف، والإبداع الفني البهي، التي تسر الناظرين، وتثير في نفوسهم متعة فنية رفيعة، وتنبع هذه العناصر الجمالية مما في حروف الكتابة العربية من قابلية للامتدادات والانحناءات والتعاريج، وما فيها من لين يساعد الخطاط على خلق

تشكيلات متنوعة لا حصر لها وإبداع تركيبات كثيرة لا نكاد نحصيها. يضاف إلى ذلك ما يزيده الخطاط إلى الحروف من النقط وأشكال الحركات ولواحق النمنمات والتزيينات التي تتداخل بالحروف وتتشابك معها في تعاطف وتمازج عجيب. وكل هذه العناصر المضافة زخارف جمالية تشترك مع الحروف في وحدة متكاملة متلائمة تجعل من نماذج الخط صوراً ولوحات فنية تفيض بهجة وبهاء.

وقد طوّر الخطاطون المسلمون فن الخط خلال العصور، جيلاً بعد جيل، وابتدعوا فيه أنواعاً عديدة حسب حاجة الاستعمال اليومي في الكتابة، وتلبية للرغبة الفنية في الجمال والأناقة. فكثرت أنواعه التي نشهدها في الكتب والوثائق المكتوبة وفي الكتابات التي تُزَيَّن بها المنابر والمحاريب والأبواب والجدران والسقوف في المساجد والقصور والمدارس والبيوت وغيرها من المنشآت المعمارية العامة. ونشهدها كذلك في اللوحات الكتابية التي تعلق في هذه الأماكن، وفيها آيات من القرآن أو أحاديث نبوية أو أبيات من الشعر أو أقوال من الحكم والأمثال أو غيرها من نوابغ الكَلِم. وتتميز هذه الأنواع من الحظ بعضها عن بعض بسمات خاصة من الجمال الفني.

وانطلاقاً من هذه القيمة الجمالية الفريدة لفن الخط، ورغبة في الحفاظ عليه، وحرصاً على إحياء أمجاده، سَنَّت إدارة المركز سنة حميدة في إجراء سلسلة من المسابقات في فن الخط بين الخطاطين المسلمين في العصر الحاضر كما قلنا آنفاً. ورأت أن تربط هذه المسابقات بأسماء كبار الخطاطين المسلمين المبدعين لتشجيع المتسابقين ولحثهم على اقتفاء آثار أسلافهم في الإبداع ولتخليد ذكراهم. وخصَّصت للفائزين فيها جوائز مالية مُجْزِئة.

نُظمت المسابقة الأولى سنة 1986 باسم الخطاط الكبير حامد الآمدي المتوفى سنة 1982 في إستانبول. ونظمت المسابقة الثانية سنة 1989 باسم الخطاط الشهير ياقوت المستعصمي المتوفى ببغداد سنة 698هـ. وكانت المسابقة الثالثة سنة 1992 باسم الخطاط المعروف بابن البَوّاب، بمناسبة مرور ألف عام على وفاته. وابن البواب هو أبو الحسن علاء الدين علي بن هلال. كان أبوه بواباً في بلاط بني بُوَيْه في بغداد، فعُرِف لذلك بابن البواب. تعلم الخط على

يدي شيخه محمد بن أسد بن علي القارىء المتوفى ببغداد سنة 410هـ. وكان ابن البواب، فوق اشتهاره بالخط، حافظاً للقرآن فقيهاً شاعراً، اشتهر بكتابة المصاحف خاصة. توفي ببغداد سنة 413هـ.

ويجدر بنا أن نشير هنا بمناسبة الحديث عن مسابقات فن الخط التي يجريها المركز إلى صدور كتاب (فن الخط) ضمن بحوث الفنون الإسلامية التي يُعْنى المركز بنشرها. وقد جاء هذا الكتاب ثمرة جهود طيبة وطويلة بذلها فريق من الباحثين تحت إشراف الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي المدير العام في المركز. فاختاروا لوحاته من شتى أنحاء العالم. وأعدَّ الكتاب للنشر الأستاذ مصطفى أوغور دَرْمان، وشاركه في كتابة البحث التاريخي الأستاذ العلامة الدكتور نهاد جتين رئيس قسم اللغة العربية واللغة الفارسية في كلية الآداب بجامعة إستانبول. ثم تولى الدكتور صالح سعداوي أمر ترجمته إلى اللغة العربية.

يقع الكتاب في (237) صفحة من القطع الكبير، في طباعة أنيقة على ورق فاخر. ويضم بحثاً تاريخياً حول نشأة الكتابة العربية وتطورها حتى ظهور الخطاطين الكبار المشاهير، ابن مُقْلة وابن البوّاب وياقوت المستعصمي. ثم ظهور المدرسة العثمانية في فن الخط، وتألق الأقلام الستة في إستانبول على أيدي أعلام الخطاطين أمثال الحافظ عثمان وأسعد اليساري وقاضي العسكر مصطفى عزت، حتى آخر عمالقتهم الخطاط الشهير حامد الآمدي الذي توفي في السنوات الأخيرة في مدينة إستنابول. ثم يأتي قسم النماذج الخطية المختارة من فن الخط من أقدم العصور إلى اليوم، وفيه (192) لوحة وصورة بالألوان. ويليه قسم التعريف الذي نعلم فيه نوع الخط واسم الخطاط وتاريخ حياته، ومعلومات أخرى تفيد القارىء والمطالع في تعرّف الأنموذج الخطي المعروض. كما يضم الكتاب قائمة بالمصادر والمراجع، وفهرساً لأسماء الخطاطين، وفهرساً آخر لأسماء الأعلام والأماكن والدول والشعوب.

فالكتاب بمجموعه استعراض بالكلمة والصورة لمراحل التطور التاريخي الذي طرأ على فن الخط خلال العصور، وتحفة فنية لا تغني الكتابة وحدها في

التعريف بها وبيان قيمتها. فهو متعة للعين وبهجة للروح. وقد أسهم في إعداده ثلة من خيرة العلماء والخبراء وأهل الفن وحذاق الطباعة. فجعله كل هذا مرجعاً علمياً وفنياً لا غنى عنه للباحثين والخطاطين وعشاق الفنون جميعاً.

وقصارى القول إن (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول) مؤسسة علمية زاهرة كما قلنا في أول كلامنا. وهو لا يكاد يضاهى في أعماله العلمية وإنجازاته الفنية على مستوى العالم الإسلامي. وهذا على الرغم من شح موارده المالية، وعلى الرغم من قلة عدد العاملين فيه من الخبراء والفنيين والإداريين، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي، المدير العام للمركز والعالم المعروف بالعلم الواسع والنشاط الجم، ومساعده الأستاذ العالم هدايت نوح أوغلي. وهم جميعاً يعملون في صمت العلماء الصادقين وإيمان المؤمنين المخلصين، جزاهم الله خيراً، ولقاهم براً. ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: 105] صدق الله العظيم